طالبان وأوهام التغيير

سقوط في امتحان السلطة.. وتهميش الأقليّات والنساء

د. علي دربج: باحث ومحاضِر جامعي

المقدّمة

كان السؤال الأبرز منذ استعادة جماعة طالبان سيطرتها على كابول في 15 آب 2021، حول ما إذا كانت عودة هذه الجماعة إلى السلطة تعني بالنسبة للأفغان أنها ستفعل كما فعلت قبل 25 عامًا.

فقد سيطرت طالبان على أفغانستان بأكملها، من عام 1996 إلى عام 2001؛ وهي مارست القمع الوحشي، لا سيما ضد الأقليّات والنساء. إن ميْل عناصر وقادة طالبان إلى العنف، الذي استمر طوال مرحلة عودة ظهورهم كقوّة متمرّدة بعد أحداث 11 أيلول ، أدّى إلى مذابح ضد المدنيين، والإتجار بالبشر والمخدّرات، وبيئة أملاها الخوف.

ولكن منذ إعلان إمارة أفغانستان الإسلامية أخيراً ، قلّل قادة الجماعة من أهمية هذا التاريخ، قائلين "إنهم تطوّروا مع الزمن".

في المؤتمر الصحفي الأول للجماعة، وعد المتحدث باسم طالبان، ذبيح الله مجاهد، ب"العفو عن الأفغان، وبأن المرأة سيكون لها حقوق "ضمن الشريعة الإسلامية"، مؤكداً أن أيام إيواء الجماعة للإرهابيين قد ولّت. كان "مجاهد" ماهرًا في مجال

البصريات أيضًا؛ واللافت في الأمر أنَّ من أجرت المقابلة التلفزيونية معه كانت صحفية أفغانية . وهنا يطرح السؤال نفسه؛ ما النسخة التي تريد طالبان إظهارها للعالم عن نفسها؟ عملياً ، لا تزال حكومة طالبان المؤقتة في أيامها الأولى ، لكن هناك ثلاثة مؤشرات رئيسية، يمكن من خلالها الحكم على طريقة إدارة طالبان للبلاد، والتأكد وبالدليل، هل أن براغماتية الحركة التي يتغنّى بها البعض وجدت طريقها إلى التطبيق على الأرض ، عبر تغيير نظرتها للكثير من الأمور المتعلقة باعتمادها الواقعية السياسية في التعامل مع المكوّنات العرقية في هذا البلد، أم أن هذا التعديل اقتصر على الخطاب فقط، وبقى في إطار الدعاية الإعلامية حصراً؟

أولى هذه المؤشرات: رغبة الجماعة في تقاسم السلطة.

وثانيها: مواجهة الأزمات المعيشية والإنسانية المستجدة، لا سيما مشكلة الجفاف وندرة الغذاء.

وثالثها: والتي تشغل بال العالم أجمع، هي حول معاملة طالبان للنساء، وهل سيتم إشراكهنّ في الحكم كما تزعم الحركة؟؟؟

في الإجابة، نقول إنه ليس تاريخ طالبان فقط هو الذي يتناقض بشكل مباشر مع الاعتدال الذي يُظهرونه؛ إنما سلوكياتهم الحالية أيضًا – بما في ذلك القمع العنيف للاحتجاجات والمطاردة من الباب إلى الباب للأشخاص المدرجين في قائمتهم

السوداء. وفي هذا الإطار، تقول رينا أميري، الزميلة البارزة في مركز التعاون الدولي بجامعة نيويورك: "إنه هجوم ساحر من جانب، وهجوم إرهابي من الجانب الآخر".

1 ـ طالبان والسقوط في امتحان المشاركة بالسلطة وحقوق المرأة

بعيداً عن حفلات التطبيل والتهليل وحملات الترويج لما يحلو للبعض أن يسمّيه النسخة الجديدة ل"حركة طالبان" غداة سيطرتها على أفغانستان ،بعد الانسحاب الأميركي من هذا البلد، والادعاء بحصول تحولات في النهج السياسي للحركة وسلوكها ورؤيتها، تجاه المشاركة في الحكم، والاعتراف بحقوق الأقليات والمرأة وإنصافها، فإن قراءة موضوعية لما آلت اليه عملية تشكيل الحكومة المؤقتة والشخصيات التي ضمّتها، تشي بخلاف ذلك تماماً. فمزاعم طالبان أقرب إلى الوهمّ منها إلى الحقيقة[1].

وعملياً ، جلّ ما فعلته طالبان ارتداء لباس الاعتدال وإخفاء النبرة الإلغائية في التعامل مع الخارج، ـ مع الإبقاء عليها في الداخل، خصوصاً في المناطق الريفية قولاً وفعلاً ـ بهدف تجميل صورتها ومحو تهمة التشدد والتكفير والبطش واضطهاد المكوّنات الطائفية والعرقية المخالفة لعقيدتها الدينية، والتي أضرّت بها وطبعت

[1] ـ **Zeerak Khurram, Taliban carrying out door-to-door manhunt for Afghans on blacklist, report says, nbcnews, website, 20 Agust 2021. www.nbcnews.com.**

صورتها، وسلبتها الشرعية الدولية، إبّان حكمها لأفغانستان في تسعينيات القرن الماضي[2].

أ ـ حكومة اللون الواحد لطالبان

لنبدأ بالتشكيلة المطروحة. في 7 أيلول 2021، شكّلت طالبان أولى حكوماتها التي سمّتها بالمؤقتة. تألّفت هذه بالكامل من أعضاء القيادة العليا للحركة. هنا ثمة خيبة مُني بها المراهنون على تبدّل تعاطي الحركة، وتتمثل بعدم ذكر أسماء أي امرأة، فضلاً عن أنه لم يتم ربط أي سياسي بارز بالحكومة السابقة، على الرغم من الاجتماعات التي حظِيت بالإشادة العلنية، والتي عقدتها طالبان مع شخصيات، مثل الرئيس السابق حامد كرزاي، أو رئيس جهود المصالحة عبد الله عبد الله.

على مستوى المشاركة السياسية، وعند التدقيق في توزيع المقاعد، نرى أن الممارسة الطالبانية المتعلقة بنظرتها إلى المكوّنات والأطياف الأفغانية الأخرى القائمة على التهميش، وحتى الإلغاء، بقيت على حالها، وإن كانت الحركة استدركت الأمر ، وقامت بضم وزراء جدد في الحكومة المؤقتة، بما في ذلك من "الأقليات". إلا أن

---

2 – **John Haltiwanger, The Taliban are now trying to pose as moderates after years of terror tactics and taking the country in a final, brutal sweep, businessinsider website. 17 Aug 2021. www.businessinsider.com.**

الكفّة في توزيع الحصص الوزارية الوازنة ما زالت تميل لصالح تفوّق التمثيل الطالباني الكاسح على أي أقليّة أخرى .

فهناك 33 شخصية تم تعيينهم في مناصب عليا هم من البشتون، على الرغم من أنهم يشكّلون فقط ما يقرب من 40–45 في المائة من سكان البلاد. وبغضّ النظر عن مزاعم طالبان بتنويع الحصص الوزارية لتشمل جميع الأعراق، فإن تشكيل الحكومة يعكس عدم التوازن العرقي الطويل الأمد على أعلى مستويات قيادة طالبان، التي ظلّت ثابتة إلى حد كبير منذ تأسيس الحركة[3].

الأمر الملفت الآخر الذي يجدر التوقف عنده، هو الحضور الوازن للحرس القديم، والذي تُرجم بترؤس الملّا محمد حسن آخوند للحكومة، مع أنه ليس معروفًا جيدًا للمراقبين الدوليين، ولكنه يحظى باحترام كبير داخل طالبان باعتباره أحد المقرّبين للزعيم المؤسس الملا محمد عمر؛ وقد تربّع على رئاسة مجلس قيادة طالبان خلال معظم فترة "تمرّدها".

ب ـ حصّة لقطر وأخرى لشخصيات قريبة من القاعدة

الخلطة الطالبانية المثيرة للجدل جمعت فيما بدا بالأضداد من حيث التصنيف السياسي . فمن جهة، ضمنت حصّة قطر ـ الأداة الأميركية المعروفة،والتي دخلت على خط الملف الأفغاني بقوّة، وأصبحت لاعباً مؤثّراً في أفغانستان ، على حساب

3 ـ Ibid

النفوذ الإماراتي ـ السعودي التاريخي ـ وذلك عبر تعيين الملا عبد الغني بردار النائب الأول لرئيس الوزراء، وهو أحد نواب أمراء طالبان الثلاثة، ورئيس مكتبهم السياسي في الدوحة.

ومن جهة ثانية، اشتملت الحكومة على شخصيات مستفزة سيّئة السمعة داخلياً ودولياً، فضلاً عن أنها موصومة بالإرهاب؛ وهو ما رأيناه من خلال تعيين نائبي الأمراء الآخرين في مناصب حيوية: سراج الدين حقاني، أحد المطلوبين لدى مكتب التحقيقات الفدرالي الأميركي ، وزعيم شبكة حقاني سيّئة السمعة، الموضوعة على القائمة السوداء للولايات المتحدة، وهو الآن وزير الداخلية (وتُعرف شبكة حقاني بقربها من "تنظيم القاعدة" وتنفيذ عمليات انتحارية عدة؛ كما نُسب إليها عدد من أعنف الهجمات في أفغانستان خلال السنوات الأخيرة). وربما أرادت طالبان بذلك توجيه رسائل طمأنة إلى التنظيمات التكفيرية الأخرى ، فيما أُعطي محمد يعقوب، المشهور في الحركة باعتباره الابن الأكبر للملا عمر، منصب وزير دفاع[4].

لم يكشف أمير طالبان، الشيخ هبة الله أخوند زاده، صراحة عن دوره، ولا شرحه في المؤتمر الصحفي الذي أعلن فيه عن حكومة تصريف الأعمال ؛ لكن شخصيات طالبان الحاضرة أكدت أن الحكومة بأكملها سيُشرف عليها هبة الله. بعد ذلك مباشرة،

---

4 ـ فضل الهادي وزين ، لتصريف الأعمال أم دائمة.. كيف يمكن توصيف حكومة طالبان الجديدة؟ موقع قناة الجزيرة القطرية، 9 ايلول 2021. .https://www.aljazeera.net

بدأت قنوات وسائل الإعلام التقليدية والاجتماعية لطالبان بالاحتفال باستعادة "إمارة أفغانستان الإسلامية" ، وهو نفس اسم نظام "طالبان" الذي حكم معظم البلاد من عام 1996 إلى عام 2001، وعُرفت به الجماعة طوال فترة وجودها في "التمرّد".

تمّ تخصيص الوزارات، إلى حد كبير، وفقًا للأدوار المتكافئة تقريبًا التي يشغلها القادة حاليًا في الشورى الرحبري (مجلس القيادة). كان حقاني ويعقوب يقتسمان بالفعل السلطة على الشؤون العسكرية والأمنية لطالبان في جميع أنحاء البلاد، وهو ترتيب يبدو أن تعيينهما وزيرين يعزّزه؛ وفي حين بدا أن بعض الإعلانات تشير إلى تخفيضات أو ترقيات لأفراد معيّنين ، فإن أغلب الشخصيات التي تمّت تسميتها في الحكومة المؤقتة لطالبان هي بالفعل أعضاء في مجلس قيادة الجماعة. أكثر من ذلك، شغل عدد كبير من المعيّنين الجدد مناصب عليا في إمارة التسعينيات[5].

أحد الاتجاهات الجديدة الملحوظة هو الوزن الذي يبدو أنه قد أُعطي للأفراد من ذوي الخبرة في الخدمة في إحدى الوزارات في الإمارة في التسعينيات. تُرِك عدد قليل من القادة العسكريين البارزين ، بتأثيرهم على المجموعة في مرحلة التمرد، من دون مناصب في مجلس الوزراء، الذي لا يقدّم سوى عدد قليل من الأدوار التي تركّز على الأمن. وربما لا ينبغي اعتبار حكومة تصريف الأعمال التابعة لحركة طالبان "غنائم حرب" ليتم تقسيمها بمرارة بين الفصائل، كما كانت الأمور سائدة خلال سنوات حكم

---

5 ـ المرجع ذاته

الحكومات الأفغانية المدعومة من الولايات المتحدة في كثير من الأحيان؛ بل يجب النظر إليها على أنها ممارسة لإضفاء الشرعية على أدوار التمرد في زمن الحرب، والارتقاء بها من قِبل الكثيرين في مجلس القيادة، إلى مرتبة الوزارات الحكومية ذات السيادة[6].

ج ـ تهميش الأقليّات والمرأة

كما هو متوقع، لم تُعيّن طالبان أي امرأة في حكومتها الجديدة، فيما جرى تهميش الأقليات العرقية التي اقتصر تمثيلها في الحكومة المؤقتة على عدد قليل من الحصص وفي مناصب هامشية نوعاً ما. كان الهدف من دعوات المجتمع المدني الدولي والأفغاني للشمولية، هو أن تشمل الانتماء الأيديولوجي والمؤسسي ،بالإضافة إلى التركيبة السكانية الاجتماعية؛ لكن لم تكن هناك أي بادرة نحو الشمولية في الحالتين من قِبل طالبان.

ففي إفادته الصحافية التي كشف فيها عن أسماء الوزراء والمسؤولين الجُدد، لفت "مجاهد" إلى أن الحكومة باتت الآن «تضمّ أقليات عدّة»، من بينهم التاجر الأفغاني حاجي نور الدين عزيزي، وهو من ولاية بانشير، الذي عُيِّن وزيراً للتجارة؛ إضافة إلى

---

6 ـ أفغانستان: هل تسهم حكومة طالبان المؤقتة في طمأنة المجتمع الدولي أم في زيادة مخاوفه؟ موقع قناة بي بي سي العربي، 9 ايلول 2021. .https://www.bbc.com/arabic

تعيين كالندار عباد وزيراً للصحة بالوكالة. كما تم تعيين كلٍ من حاجى محمد عظيم سلطان زاده من إقليم سربل الشمالي، وحاجى محمد بشير من إقليم بغلان الشمالي أيضاً، نائبين لوزير التجارة، وعبد الباري عمر، ومحمد حسن غياثي، وهما من أقلية الهزارة، نائبَين لوزير الصحة؛ وشملت التعيينات الجديدة أيضاً 10 نواب لوزارات مختلفة، إضافة إلى 3 مسؤولين آخرين.

التعيينات الجديدة إنما جاءت لتجنّب سخط المجتمع الدولي، والحصول على رضاه، أكثر منها رغبة في توسيع التمثيل السياسي للأعراق الأخرى . والدليل على ذلك أنها لا تشكّل أهمية تُذكر مقارنة مع الوزارات السيادية والأساسية التي احتفظت بها طالبان لنفسها.

وعندما سُئل المتحدث باسم طالبان عن الوعود المتكررة التي قطعوها على أنفسهم خلال العام الماضي بأنهم يسعون إلى تشكيل "حكومة شاملة" تخدم جميع الأفغان، أجاب فقط بأن هذه التعيينات مؤقتة – لكنه لم يذكر المدة التي ستقضيها الحكومة في الخدمة أو ما الذي سُيعجّل بتغييرها. أشار بعض المراقبين إلى أن "إنشاء الإمارة الإسلامية الأصلية لحركة طالبان في عام 1996، صيغ أيضاً بلغة الانتقال والوضع المؤقت"، على الرغم من أن هيكلها لم يتغير كثيراً حتى الإطاحة بها من خلال التدخل الأميركي في أواخر عام 2001.

إن الطريقة التي يتم بها الحكم على حركة طالبان، من حيث انخراطها في التعامل مع النساء والأقليات العرقية – ومعاملتها – قد تكون أقل ارتباطًا بالتعيينات على

مستوى مجلس الوزراء، وأكثر ارتباطًا بمعاملتها على أرض الواقع. حتى الآن ، فإن السجل في جميع أنحاء البلاد مختلط، ولكنه مثير للقلق. قدّمت طالبان تأكيدات بالسلامة والأمن المخصّص للاحتفال بأيام عاشوراء الشيعية المقدّسة في كابول، وعقدت اجتماعات مع ممثّلي مجتمعات السيخ الأفغانية؛ لكن عدداً من حالات الاحتجاز والقتل المبلّغ عنها، وقعت في المناطق التي تقطنها أقلية الهزارة العرقية المضطهدة تاريخياً.

ومع أن طالبان سمحت للفتيات في بعض المناطق باستئناف حضور الفصول الدراسية (وحتى الجامعات الخاصة بموجب إرشادات جديدة للفصل بين الجنسين) ، لكن في مناطق أخرى بقين مقيّدات. صحيح أن النساء عُدن إلى ممارسة الوظائف والأعمال ، خصوصاً الرعاية الصحية، بتشجيع من طالبان، لكن العديد منهنّ أبلغن أيضًا عن تعرّضهن للترهيب وتلقيهنّ تعليمات بالعودة إلى ديارهن. قوبلت المظاهرات العامة في كابول والمدن الكبيرة، وخاصة تلك التي تقودها النساء المحتجّات من أجل حقوق المرأة، بتحذيرات من طالبان بالتفرّق وإطلاق النار؛ وفي بعض الحالات بالضرب[7].

أشارت مجموعة من تصريحات طالبان إلى أن القيود الحالية ، خصوصاً فيما يتعلق بالنساء، هي قيود مؤقتة ومُطبّقة فقط بسبب البيئة الأمنية (أو حتى، حسب اعتراف أحد المتحدثين ، بسبب مخاوف بشأن سلوك مقاتلي طالبان). بعد وقت قصير من

7 ـ أفغانستان: هل تسهم حكومة طالبان المؤقتة في طمأنة المجتمع الدولي أم في زيادة مخاوفه، مرجع سابق.

إعلان حكومة تصريف الأعمال، أعلنت وسائل الإعلام التابعة ل"حركة طالبان" أن الاحتجاجات العامة يجب أن يتم الإعلان عنها والموافقة عليها من قِبل وزارة الداخلية مسبقًا.

وبعيداً عن محاولات تجميل صورة وسلوك طالبان فيما يخص نظرتها وتعاطيها مع المرأة، والذي تتولاّه بعض الوسائل الإعلامية الخليجية، لاسيما القطرية وربما الباكستانية، فإنه بالمقابل توجد تقارير حول عودة طالبان إلى ماضيها القاسي، حيث أُجبرت النساء في المقاطعات التي سيطرت عليها طالبان في الأشهر والسنوات الماضية على ترك وظائفهن؛ ومرّة أخرى يُطلب من أحد الأقارب الذكور مرافقتهن خارج المنزل[8].

ووفقاً لموقع vox الأميركي أن "اتصالات طالبان على الأرض تقول إنه مع سيطرتها على مقاطعات مختلفة، فإنهم يظهرون مع قوائم الناشطات والصحفيات والمتعاونين مع الحكومة لمضايقة أُسرهم وترهيبهم بشكل منهجي".

---

9 — **Taliban 'intensifying' search for Afghans who helped US: UN document, france24 19 Aug 2021. www.france24.com.6website.**

فاستمرار هذه الممارسات سيكون علامة واضحة على أن طالبان تعطي الأولوية للأيديولوجية على البراغماتية. كما أن استبعاد النساء من المجتمع قد يكون مؤشراً على أن طالبان غير مهتمة بتقديم تنازلات من أجل الحكم.

ثانياً: طالبان ومواجهة أزمة المساعدات والجفاف والغذاء

قد لا تبدو طريق الحكم سالكة أمام طالبان وخالية من العوائق؛ فأكبر التحديات التي قد تواجهها هي اقتصادية وإنسانية[9]. حالياً تعاني أفغانستان عدداً من الأزمات المقلقة، وفي مقدّمتها ندرة الغذاء والمياه الناشئة في أفغانستان، وجميعها تضع سلطة طالبان ومصداقيتها وأهليّتها للحكم أمام المجتمع الدولي على المحك.

فبعد سيطرة طالبان على أفغانستان ، قام البنك الدولي، وغيره من المؤسسات الدولية، بتجميد قدر كبير من التمويل والمساعدات الأجنبية، التي كانت الحكومة الأفغانية السابقة تعتمد عليها بشكل كبير على مدى السنوات العشرين الماضية، كما فعلت مع معظم الأصول السائلة للحكومة السابقة، التي جمّدتها الحكومة الأميركية حالياً[10]؛ الأمر الذي وضع الحركة أمام تحدٍ آخر، حيث سيتعيّن على الحركة تأمين

---

9 - JOSH BOAK, Taliban took Afghanistan but face cash squeeze, AP News website. 20 August 2021. www.apnews.com.

11 – Millions at risk of displacement as Afghanistan faces extreme drought, warns IRC, rescue website, 15 June 2021.www.rescue.org.

المعونات الغذائية للسكان، وتوفير الخدمات الطبيّة لهم، فضلاً عن الضروريات الأخرى التي سيتوجب على طالبان القيام بهذه الأمور الأساسية لمواجهة الأزمات الاقتصادية الخانقة؛ يُضاف إليها موجة الجفاف الشديد التي تضرب جميع أنحاء أفغانستان ، والتي من المتوقع أن تؤثّر على قدرة المزارعين والرعاة على توفير الغذاء.

وجدت تقديرات لجنة الإنقاذ الدولية في حزيران 2021، أن 80 في المائة من الأفغان يعتمدون على الزراعة ورعي الماشية لتأمين قوتهم اليومي، الأمر الذي يتطلب هطول الأمطار. ما يُقلق الأفغان أن أزمات الندرة بدأت بشكل جدّي، حيث يعاني 40 بالمائة من المشاركين في مسح لجنة الإنقاذ الدولية بالفعل من آثار سلبية من نقص المياه[11].

حتى قبل الجفاف، وجدت تقديرات الوكالة الأميركية للتنمية الدولية في عام 2020، أن 8.2 مليون أفغاني يحتاجون إلى مساعدات غذائية طارئة، ويمكن تصنيف 11 مليونًا على أنهم يعانون من انعدام الأمن الغذائي[12].

---

11 ـ قضيتان عانت منهما أفغانستان مع بداية هذا العام: الجفاف واستيلاء طالبان على مناطق عديدة، موقع اخبار الامم المتحدة العربي، 15 تموز 2021. https://news.un.org/ar.

12 ـ المرجع ذاته

يقول توماس بارفيلد، رئيس المعهد الأمريكي لدراسات أفغانستان: "إذا انقطعت الكهرباء، فهذه مشكلة حقيقية. الغذاء مشكلة حقيقية. والآن تعاني أفغانستان من الجفاف. لذا عليك إطعام السكان ".

طوال العقود الماضية، كانت المساعدات الغذائية في الأساس مهمة المنظمات غير الحكومية في أفغانستان، وهي آخذة في التراجع بسرعة. لذا فإن محاولات طالبان ، أو غيابها، لإعادة تأمين تلك المساعدة أو تقديمها، سيكون إشارة مهمة للمجتمع الدولي حول اهتمامهم بمساعدة سكانهم.

فالمساعدات الدولية أمر حيوي لهذه المهمة، ولكن هذا يتطلب اعترافًا من الحكومات الأجنبية، والتي يمكن أن توفّر بعض المساعدات الغذائية أو المائية. تم طرح الصين، التي لها مصالح تجارية وأمنية في أفغانستان، للقيام بهذا الأمر . يقول بارفيلد إن "طالبان يمكن أن تعقد صفقة مع الصين للسماح لها بالوصول إلى المعادن في أفغانستان، مقابل مستوى معيّن من المساعدة"[13]. ثمّة أمر آخر ، وهو أن حاجة طالبان إلى إطعام السكان ستدفعها إلى اللجوء للأمم المتحدة لمساعدتها على تخطّي هذه الأزمة ؛ لكن هذا سيتطلب تعديل خطابها الإيديولوجي المعادي للغرب، وتقديم بعض التنازلات فيما خصّ طريقة الحكم.

---

13 ـ حالة الطوارئ في أفغانستان، الموقع العربي المفوضية السامية للامم المتحدة لشؤون اللاجئين، 31 اب 2021.
https://www.unhcr.org/ar.

كانت حالة الجوع شديدة الخطورة في تسعينيات القرن الماضي، لدرجة أنه في لحظة نادرة سادت فيها البراغماتية على الأيديولوجية، إذ سمحت طالبان لبرنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة بالدخول إلى كابول. في ذلك الوقت،تلقّى ربع سكان كابول الخبز من الأمم المتحدة أو الصليب الأحمر. واليوم إن منحًا مماثلًا سيكون اعترافًا من طالبان بأن تقديم المساعدة الأساسية للأفغان يمثّل أولوية. إنهم بحاجة إلى تعاون العالم الخارجي. ليس هذا فحسب؛ لا يمكن لأي حكومة أفغانية البقاء في السلطة إذا سمحت لشعبها بالتجويع[14].

الجدير بالذكر أن منظمة الأمم المتحدة "حذّرت مطلع شهر أيلول 2021، من اقتراب أزمة غذاء في أفغانستان، وأن مخزون المواد الغذائية قد ينفد في أقرب وقت هذا الشهر. وذكر رامز الأكبروف، نائب الممثّل الخاص ومنسّق الشؤون الإنسانية في أفغانستان، بأن أكثر من نصف الأطفال دون سن الخامسة يعانون من سوء التغذية الشديد، وأن أكثر من ثلث المواطنين لا يحصلون على ما يكفي من الطعام".

وبناءً على تقرير أوكسفام ، تحت عنوان "فيروس الجوع يتكاثر" الذي صدر سابقًا هذا العام، تُعدّ أفغانستان من أسوأ بؤر الجوع الساخنة في العالم التي تعاني من

14 ـ المرجع ذاته

الصراع؛ وتشمل القائمة دولاً أخرى، كإثيوبيا وجنوب السودان وسوريا واليمن، التي تشهد ارتفاعًا في مستويات الجوع الشديدة منذ العام الماضي[15].

رابعاً: هل تغيّرت طالبان حقاً؟

منح اتفاق السلام الذي وقّعته الولايات المتحدة مع "حركة طالبان في العاصمة القطرية الدوحة، في 29 شباط 2020، هذه الجماعة الإسلامية المسلّحة التكفيرية الإرهابية، فرصة للظهور على أنها " أشخاص يرتدون ملابس أنيقة للغاية ، ولديهم هواتف ذكية، ويُتقنون فن التحدث بدبلوماسية للغاية أمام وسائل الإعلام الدولية. كما ألبسها ثوب الشرعية الدولية، الذي كانت تفتقر إليه غداة استيلاء الجماعة على أفغانستان أواخر التسعينيات[16].

بالمقابل، فإن الصورة على الأرض كانت مختلفة كليّاً. فبالتزامن مع إكمال طالبان سيطرتها على أفغانستان، ودخولها العاصمة كابول دون رصاصة واحدة ، وبلوغها الذروة بإعلانها إمارة أفغانستان الإسلامية، بدأت التقارير تتدفق عن قيام الحركة بعمليات إعدام لنساء، وإجبار فتيات على الزواج من مقاتلي طالبان ، وإبعاد طالبات عن مدراسهن، فيما بدا أنه استعادة للحكم القمعي لطالبان في التسعينيات؛ وهو ما

---

15 ـ الأمم المتحدة تحذر من اقتراب مجاعة كبرى في أفغانستان، موقع سي ان ان العربي، 3 ايلول 2021.
https://arabic.cnn.com.

- 17

Prisoners in homes': The women in Afghanistan barred from leaving home without a man, independent News Paper Website 17 August 2021. www.independent.co.uk

توقف عنده المراقبون والخبراء[17]؛ وطرح السؤال الذي يراود أذهان الملايين في العالم حول هوية طالبان بالضبط اليوم، وهل تغيّرت الحركة فعلاً بعدما استولت على السلطة بعد 20 عامًا من طردهم منها؟؟؟

لا شك أن طالبان لم تعد كما كانت عليه قبل الغزو، حيث تعلّمت القيادة من العقود الماضية – صعودها وسقوطها وصعودها مرة أخرى ـ فأصبحت الحركة أكثر واقعية، واكتسبت خبرة في العلاقات العامة. لكن هذا لا يعني أن طالبان قد غيّرت نظرتها للعالم، أو تخلّت عن أهدافها، أو أنها أقلعت عن بطشها، بعد إحكام قبضتها على البلد.

عملياً، في جوهرها ـ أيديولوجيتها، والطريقة التي تنظر بها إلى الإسلام، وفرض قوانينها الدينية الخاصة على المجتمع بقوّة البندقية ـ طالبان لم تتغير جذرياً كحركة. صحيح أنها تكيّفت سياسيًا وعسكريًا، منذ الإطاحة بها في أيلول 2001، غير أنها حيث وجِدت فرضت عقيدة دينية تكفيرية صارمة.

يقول أسفنديار مير، المحلّل الأمني لجنوب آسيا بالمعهد الأميركي للسلام، إن "الكثير من الجناح السياسي لطالبان لا يزال خاضعًا لسيطرة أشخاص كان لهم دور

---

17 – **JOSEPH KRAUSS, What's next for Afghanistan, abcnews wbsite, 17 August 2021. www.abcnews.go.com.**

فعّال في الحركة في التسعينيات. لم تتلاشى اللدغة التي خلّفتها أحداث 11 أيلول بالنسبة لهم"[18].

وأضاف مير: "كان لديهم حقًا إحساس قوي بالإذلال، ولسان حالهم يقول: كان لدينا الحكومة وهذا حقّنا ،وأن هذا الحق أُخذ منّا بالقوة؛ ولذا علينا أن نُثبت أنفسنا ، ونستعيد مصداقيتنا، التي انتُزعت بالقوة. إنها تلك الندوب التي خلّفتها الأشهر التي تلت 11/9، والتي أعتقد أنها تستمر في توجيه وتشكيل الحسابات الشاملة للمؤسسة. وهذا يفسّر، جزئيًا، التقدم الحثيث نحو كابول لاستعادتها".

في الوقت ذاته، تتفهم طالبان بعمق أيضًا الحاجة إلى الشرعية الدولية والاعتراف بها. يرى كاويه كيرامي، الباحث في جامعة SOAS مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية في لندن ، أنه "ليس فقط بسبب قيمتها المعنوية، ولكن أيضًا بسبب الوصول إلى الأموال الأجنبية التي كانت دولة أفغانستان تعتمد عليها ، لجزء كبير من تاريخها".

في السنوات الأخيرة، بنت طالبان شبكة علاقات مع إيران والدول المجاورة لها، إلى جانب دول مثل روسيا والصين. بعبارة أخرى، أوجدت لها شركاء محتملين آخرين ، بحيث لم تعد علاقاتها تقتصر على باكستان وحدها.كجزء من هذه الاستراتيجية، سعت القيادة السياسية لطالبان تقديم نفسها على أنها كيان أكثر عقلانية وحذرًا إلى حدٍ ما، في خطابها؛ وهي محاولة لإعادة صياغة القوة الوحشية المتخلفة التي

Ibid – 18

لصِقت بها. جلست طالبان ليس فقط في محادثات السلام، ولكن تلك التي شاركت فيها النساء[19].

وفي نهاية المطاف، فإن القيادة السياسية لطالبان كما هو الحال الآن ، تعمل على تقديم بعض المبادرات لإرضاء المجتمع الدولي – مثل ترك بعض المؤسسات الإعلامية مفتوحة ، أو السماح للفتيات الصغيرات بالالتحاق بالمدارس (مع الفصل) – ولكن هناك سبب للتساؤل عن مدى جديّة هذا الالتزام؛ إذ تشير بعض التقارير الواردة من كابول وأماكن أخرى في أفغانستان، إلى أن "الالتزام ضحل بشكل مخيف[20]".

يرى أسفنديار مير أن "هناك فجوة بين ما يقولونه وما يفعلونه". "إنها سمة سياسية من نوع ما – أنهم قادرون على إشراك المجتمع الدولي بكلمات مهذّبة ، من خلال خلق انطباع بأنهم منفتحون على السياسة. لكن في النهاية، لا يزالون آلة عسكرية قوية؛ وفي كثير من النواحي، ليس لديهم حافز كبير لتقديم تنازلات، فهم اجتازوا للتو أفغانستان واستعادوا كابول".

19 - Ibid

20 – **Saeed Shah, Afghans Tell of Executions, Forced 'Marriages' in Taliban-Held Areas, The Wall Street Jouranl Website.12 August 2021. www.wsj.com.**

تعي طالبان أنه قد تكون استعادة البلاد أسهل بكثير من حكمها. وهذا هو السبب في أن مستقبل أفغانستان تحت حكم طالبان لا يزال مجهولاً[21].

ماذا يعني كل هذا لشعب أفغانستان؟

هناك جيل كامل من الأفغان الذين ولِدوا بعد عام 2001، عاشوا تحت تهديد الحرب المستمرة. لكن هذا الجيل نفسه، على الأقل في المناطق الحضرية الكبرى ، لم يعِش تحت قمع طالبان[22].

حتى لو تراجعت طالبان، في سعيها للحصول على مكانة دولية، عن بعض أقسى سياساتها، فليس هناك أمل كبير في أنها ستكون معتدلة حقًا. قالت عائشة صدّيقة ، الخبيرة في العلاقات المدنية– العسكرية في جنوب آسيا ، والتي كتبت بشكل مكثّف عن المنطقة: "سيحكمون تمامًا كما فعلوا من قبل". أيديولوجيتهم تحدّدهم". وأضافت صدّيقة "فكرة التفكير في أن طالبان قد تغيّرت هي فكرة خاطئة"[23].

لنقرأ بهدوء ماصرّح به شخص ما من الجانب العسكري من طالبان لأحد الصحافيين الأميركيين ، حيث قال له: "انظر ، لقد قاتلنا وضحّينا لمدة 20 عامًا؛ معظم أفراد

---

21 – Ibid

22 - Ibid

24 - By Dan De Luce, Ken Dilanian and Mushtaq Yusufzai, Taliban keep close ties with Al Qaeda despite promise to U.S,.nbcnews website, 17 FEB 2021. www.nbcnews.com

عائلتنا ماتوا، لن نتقاسم السلطة ، ليس لدينا نيّة في اعتدال نوع الحكومة". يعني ذلك ببساطة أن حلم العودة إلى التسعينيات لم يفارقهم للحظة.

في معظم الحالات ، تتفوّق الأجنحة العسكرية على الأجنحة السياسية. لذا لا مجال للمراهنة بأن طالبان اليوم ستكون أكثر لطفًا وتسامحاً من تلك التي كانت في الماضي[24].

الاستنتاجات

هناك تيار داخل قيادة طالبان، خصوصاً في القيادة السياسية ، يدرك أن نجاح دولتهم سيعتمد على استمرار المساعدة الغربية. فالدولة الأفغانية تحصل على 80 بالمائة من أموالها من المساعدات الخارجية.

لذا، إذا قرّرت الولايات المتحدة أو الدول الأجنبية التوقف عن تمويل نظام الرعاية الصحية غدًا مثلاً ، فسوف ينهار، ويولّد كارثة كبيرة ؛ وبالتالي هناك عناصر داخل طالبان تدرك ذلك وتعي الحاجة إلى أن تكون جزءًا من النظام الدولي. وهذا ما يفسّر الرغبة لديهم في تخفيف بعض من أسوأ دوافعهم؛ لكن هناك أجزاء أخرى من طالبان ، خصوصاً على الضفة المقابلة، أي العسكرية ، ترفض ذلك تمامًا.

لقد درّب القادة السياسيون في طالبان أنفسهم على الشؤون العالمية. إنهم يدركون أنهم بحاجة إلى التحدث عن احترام الحقوق ، لأنهم يريدون هذا الاعتراف الدولي.

24 - **By Dan De Luce, Ken Dilanian and Mushtaq Yusufzai, Taliban keep close ties with Al Qaeda despite promise to U.S, OP CIT.**

لكن هناك الآلاف والآلاف من قادة وجنود طالبان على الأرض ، والذين قد لا يشاركونهم هذا الرأي بالضرورة. هذه الفئات المختلفة من طالبان لها أولويات مختلفة.

قد يؤمن العديد من المقاتلين ، خصوصاً الأجيال الشابة، بحركة جهادية دولية ويريدون تقديم الدعم. لكن آخرين في الحركة قد يرون أن هذه العلاقات محفوفة بالمخاطر للغاية ، حيث أدّت هذه العلاقات في النهاية إلى إزاحة طالبان من السلطة.

لكن ما يثير المخاوف هو أن انتصار طالبان ، ورمزية استعادة الجماعة للسلطة ، يمكن أن تقدّم دفعة للجماعات الإرهابية في كل مكان، سواء في أفغانستان أو في أي مكان آخر. عندما تتمكن [طالبان] من الإطاحة بحكومة يدعمها المجتمع الدولي بأسره – ما نوع الرسالة التي يرسلها ذلك إلى بقية الجماعات الارهابية المتطرفة للعالم؟" .

وعليه، من المرجّح أن الجناح الأكثر تشددًا ستكون له اليد العليا قريبًا داخل طالبان؛ وهو ما ظهر حقاً في الحكومة من حيث احتفاظ الحرس القديم بحصّة الأسد فيها. فهؤلاء هم الذين لديهم صلة أوثق مع الرتب والملفات؛ وأكثر من عانوا في الخطوط الأمامية. لقد قادوا رجالهم في الخنادق. بالمقابل، فإن قيادات الجناح السياسي المصقول كانوا يعيشون خارج البلاد. لديهم منازل كبيرة وجميلة وفاخرة في باكستان، أو حالياً في قطر، وليس لديهم حقًا هذه القاعدة الاجتماعية على الأرض بالطريقة التي يمتلكها الجناح العسكري.

ربما حاولت طالبان إعادة تشكيل صورتها عبر حكومتها المؤقتة، لكنها سقطت في أول امتحان لها، حيث كان سيفتح أمامها أبواب المجتمع الدولي فيما لو التزمت بأقوالها على صعيد المشاركة السياسية وحقوق الأقليات النساء .

فالعالم هالته مشاهد تعليق جثث أربعة أشخاص على رافعات في مدينة هرات غربي البلاد، في 25 أيلول 2021، بعد قتلهم رمياً بالرصاص بتهمة ضلوعهم في عملية اختطاف، وأدرك سريعاً أن النزعة التكفيرية الإلغائية متجذّرة في نهج وسياسة هذه الحركة، وإن ادّعت العكس.

وعليه، فالتعويل على تغيّر حركة طالبان ضرب من الخيال، وهو ما يجاهر به كُثر في أفغانستان الذين ليس لديهم أوهام أن طالبان الجديدة هي مجرّد نسخة قديمة، اضطرّتها، تحت ضغط الحاجة للاعتراف بها كحركة شرعية للحصول على الأموال والمساعدات الغربية، إلى تعديل خطابها فقط، دون أن يشمل ذلك إيديولوجيتها المتطرفة، وهنا النقطة الأهم .